حركة اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي

دكتـــور /محمد عبد الرحمن عطا الله

كلية الآداب – جامعة الطائف

إن الحديث عن اللغة غير المنطوقة لم يكن وليد العصر الحديث ، بل هو ضارب بأطنابه في تراثنا العربي ، ويعد الجاحظ من أشهر الذين أدلوا بدلوهم في هذا المضمار ، يقول : " جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لانتقص ولا تزيد أولها : اللفظ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تُسمى نِصبة ". (١)

إذاً نتبين من عبارة الجاحظ السابقة "لفظ وغير لفظ" أن هناك لغة منطوقة تقابلها لغة غير منطوقة ، ومن ثم نشأت بعض الثنائيات " تتمثل في مصطلح اللغة المرئية في مقابل اللغة المسموعة ، ولغة الإشارة في مقابل لغة الكلام ، وهناك مصطلحات أخرى تصف اللغة المنطوقة بأنها لغة لفظية ، وهناك اللغة غير المنطوقة أو غير اللفظية". (٢)

وفي العصور القديمة من تاريخ البشرية كانت الإشارات لها الأهمية الأولى ، وللكلام المنزلة الثانية في تبادل الفكر. (٣) وقد جاءت " الأصوات أولا معاونة للإشارات والحركات ، ثم أخذت تكتسب بالتدريج معنى متعارفا عليه ، بحيث أصبح لها السيادة والسيطرة والغلبة ، أو على الأقل أصبحت جزءا مهمًا منها". (٤)

إن وراء اللغة المنطوقة أنساقا غير لفظية تؤطرها ، وقد تصبح في بعض الأحيان أنساقا متميزة ومستقلة عن الأنساق المنطوقة. (٥) ، وتظهر استقلالية اللغة غير المنطوقة أكثر فيما يُسمى بالرمز " ونرى أوضح مثال يمكن أن ينطبق على وصف... الرمز هو "الميزان" الذي يرمز عادة إلى العدل ، وتكون الرابطة التي ترمز بين الرمز كمفسرة والعدل كموضوعة، هي مبدأ التساوي أو المساواة ، حيث تشير إلى ذلك

كفتا الميزان المتساويتان بوصفهما "الركيزة" التي توضح الوجهة والصفة الرابطة بين كل من العلاقة والموضوعة".(٦)

ومهما يكن من أمر فلا يمكن أن ننحي اللغة غير المنطوقة عن تحديد المعنى ، فقد رأى بلومفيلد أنه " حين الاستعانة ببعض العلوم الأخرى ، يمكن الاقتراب من تحديد المعنى ، أو التوصل إليه ، ومن بين تلك العلوم علم الحركة الجسمية". (٧)

ومن هنا يتبين أن الأنساق اللفظية وغير اللفظية تقوم بإنتاج المعنى ، وتوفير التواصل ، وهذا ما دفع بارط إلى أن يسند وظيفة التواصل إلى الأنساق اللسانية وإلى الأشياء. (٨)

والمجتمع في حاجة إلى الأنساق اللفظية وغير اللفظية ففي " أحضان المجتمع تكونت اللغة . وُجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم . وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم : الإشارة إذا أعوزتهم الكلمة ، والنظرة إذا لم تكفِ الإشارة". (٩)

ومع ذلك فالدراسات التي تناولت اللغة غير المنطوقة تُعد قليلة ، فقد رأى إسلن "أن الدراسات السيميولوجية المبكرة لم تهتم إلا بالنص الحواري في الدراما باعتباره النص الرئيس المنتج للمعنى ، في حين يؤكد على أهمية دراسة النصوص غير الكلامية دراسة لا تقل أهمية عن دراسة النص الحواري". (١)

ويبقى سؤال يطرح نفسه . هل اللغة غير المنطوقة تقوم بوظيفة التواصل فقط ؟ أو تؤدي بجانب هذا الدور وظيفة جمالية ؟ ويجيب عن هذا السؤال د. كريم حسام الدين في مقدمة كتابه الإشارات الجسمية بقوله : "أرجو أن تكون هذه الدراسة مفيدة للدارسين الذين يهتمون بدراسة السلوك غير اللغوي ودوره في التواصل أو التفاعل الاجتماعي من ناحية ، ودوره في التعبير الجمالي والفني من ناحية أخري". (١١) وقد اتضحت الوظيفتان : التواصلية والجمالية من خلال دراسته التطبيقية على ثلاثية نجيب محفوظ.

ومن كل ما سبق فقد اتضح لنا أن ما يمكن تسميته باللغة غير المنطوقة جزء من طرق التواصل ، ومن ثم فخير" وسيلة للنظر في حركة النص الأدبي وسبل تحرره ، هي الانطلاق من مصدره اللغوي".(١٢)

وللدور المزدوج للسلوك غير اللفظي الذي يجمع بين التواصل والتفاعل الاجتماعي والتعبير الجمالي والفني ، وإيمانا منا بأهمية اتخاذ المنهج اللغوي أو اللساني مفتاحا للنقد . تم اختيار حركة اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي موضوعا للبحث وباعتباره أبلغ نص بعد القرآن الكريم .

ويضم البحث أربعة محاور هي : اللغة غير المنطوقة وإنتاج الدلالة ، واللغة غير المنطوقة وسياق الحال ، ووظائف اللغة غير المنطوقة ، وخصائص اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي.

ويمكن عرضها على النحو الآتي :

١- اللغة غير المنطوقة وإنتاج الدلالة في الحديث النبوي

إن علم الدلالة وثيق الصلة بنظرية المعنى ، ويمكن تعريف هذا العلم بأنه " دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يدرس المعنى ، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى ". (١٣)

ومن ثم لا تقتصر الدلالة على الأنساق اللفظية فقط ، بل تمتد إلى الأنساق غير اللفظية أيضا ، فيكون " موضوع علم الدلالة أي شيء ، أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز ، هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق ، وقد تكون إشارات باليد ، أو إيماءة بالرأس ، كما قد تكون كلمات أو جملا ، وبعبارة أخرى قد تكون علامات أو رموزا تحمل معنى ، كما قد تكون علامات أو رموزا لغوية". (١٤)

وإذا رحنا نتبع العلاقة بين الدال والمدلول للأنساق غير اللفظية في الحديث النبوي وجدناها كثيرة ومتنوعة ، لكن طبيعة البحث تفرض علينا الوقوف على نماذج قليلة لعلها توضح الفكرة.

ونبدأ بحديث سفيان بن عيينة عن عائشة ، قال : " سألت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف تغتسل من حيضها ، قال : فذكرت أنه علمها كيف تغتسل ، ثم تأخذ فرصة من مسك فتتطهر بها ، قالت أتتطهر بها ؟ **قال** : تتطهري سبحان الله واستتر ، وأشار لنا سفيان بن

عيينة بيده على وجهه ، قالت عائشة : واجتذبتها إليَّ وعرفت مـا أراد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت تتبعي أثر الدم ". (١٥)

في الحديث السابق نسق غير لفظي يتمثل في وضع اليـد علـى الوجه ، وهذا الدال يرتبط بمدلول الخجل ، وهو مـدلول نفسـي ، أدى الراوي دورا رئيسا في تجلية الإشارة والحركة ، وأسهم أيضا في إنتاج الدلالة اختلاف الجنسين : الجنس الذكري المتمثل في الرسول صلى الله عليه وسلم –وما عُرف عنه من شدة الحياء– والجنس الأنثوي المتمثـل في المرأة السائلة ، ومن ثم تحطم الخجل وزالت آثاره عند التقاء الجنس الأنثوي ، وجذب السيدة عائشة المرأة إليها ، وتعريفها مراد الرسـول صلى الله عليه وسلم .

وهناك أحاديث ثلاثة ، النسق غير اللفظي فيها يدل دلالة واضحة على القرب .

<u>الحديث الأول</u> : عن سهل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهمـا شيئا". (١٦)

<u>الحديث الثاني</u> : عن أنس ، قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم :" بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار أبـو داود (أحـد رواة الحـديث) بالسبابة والوسطى فما فصل إحداهما عن الأخرى ". (١٧)

الحديث الثالث : عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال **رسول الله صلى عليه وسلم : " أنا وامرأة أمَّت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتماها حتى بانوا أو ماتوا"**(١٨)

من الواضح في هذه الأحاديث الثلاثة أن النسق غير اللغوي المتمثل في حركة السبابة والوسطى ، يعد من أشد الدوال تعبيرا عن القرب الشديد ، وربما يتفوق هذا الدال على نظيره الغوي في حمل المعنى .

وعند معاودة النظر مرة ثانية في هذه الأحاديث ، يظهر دور الراوي في توضيح الإشارة ، فنراه في الحديث الأول يقول : " وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا " . إن التصاق الإصبعين والتفريج بينهما يشير إلى ملمح مهم للتفاوت في درجة القرب ، فكافلو اليتامى كثيرون ، وتختلف درجة الرعاية – بلا شك – من شخص إلى آخر ، فكلما اقترب كافل اليتيم من الصورة المثالية في الكفالة ، كانت درجة القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة أكثر ، وهكذا تكون درجة القرب الأمثل فالأمثل.ودلالة القرب تفضي إلى دلالة الترغيب الشديد والحث على كفالة اليتيم ، فتلاحم الإصبعين معادل للتلاحم بين أفراد المجتمع المسلم.

وفي الحديث الثاني " أشار أبو داود بالسبابة والوسطى فما فصل بينهما" . فعدم الفصل بين الإصبعين لايوحي بقرب الساعة فقط ، بل يدل دلالة واضحة على تحقق هذا الأمر ، وقوعه أمر لا يحتاج إلى شك

أو جدال . وهذا الأمر الغيبي عبر عنه القرآن بالفعل الماضي دلالة على تحققه لامحالة . **قال تعالى** : " **اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**".(١٩)،

وفي الحديث الثالث وإن كانت حركة السبابة والوسطى أفرزت دلالة القرب ، فإن الدلالة تتسع إلى ترغيب المرأة في تربية يتاماها ، وهي ذات منصب وجمال ، ومن ثم تكون رغبة الرجال في الزواج منها أشد .

إن هذا النسق يستثير في المرأة عاطفة الأمومة حفاظا على صغارها من الضياع . وإن كان هذا ترغيب لذات المنصب والجمال ، فمَن دونها من النساء أولى بالإمساك على صغارها.

وقد تتحد الإشارة وتختلف المدلولات باختلاف الموقف والسياق ، ويمكن الاستدلال على ذلك بثلاثة أحاديث .

الحديث الأول : عن أنس بن مالك " أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء". (٢٠)

الحديث الثاني : عن سمرة بن جندب ، قال : " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتداول في قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة ، قلنا فما كانت تمد ، قال : ممن تعجب ما كانت تمد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء". (٢١)

الحديث الثالث : عن أبي هريرة " أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء فقال : يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة . فقال لها :أين الله ؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها ، فقال لها : فمن أنا ؟ فأشارت

إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى السماء ، يعني أنت رسول الله ، فقال اعتقها فإنها مؤمنة" . (٢٢)

في الأحاديث الثلاثة السابقة الإشارة إلى السماء مرتبطة بمصدر واحد هو الله ، لكن إنتاج الدلالة قد يختلف ، فالحديث الأول سيق في موقف الاستسقاء ، والإشارة تعني التضرع واستمطار رحمة الله . أما الإشارة في الحديث الثاني فدال أفضى إلى مدلول البركة .

وفي الحديث الثالث ، نرى الإشارة تدل على الإيمان ، وهي أبلغ بكثير من العبارة ، فإذا اختلفت اللغات تحولت الإشارة إلى لغة تفاهم ، فقد تكون المرأة لا تعرف اللغة العربية ، وقد تكون لديها مشكلة في النطق ، ومن ثم حلَّ النسق غير اللغوي مشكلة تعجز اللغة المنطوقة عن حلها.

٢- اللغة غير المنطوقة وسياق الحال في الحديث النبوي

إن كانت اللغة المنطوقة لها ارتباط شديد بسياق الحال ، فإن اللغة غير المنطوقة لها نصيب أيضا في هذه النظرية ، وفكرة سياق الحال "من الأفكار التي حظيت بانتشار في التفكير اللغوي قديمه من لدن أرسطو ، وحديثه حتى الآن... وهي فكرة تجسد خاصية من أبرز خواص اللغة ، وهي كونها ظاهرة اجتماعية ، فسياق الحال يمثل الشق الاجتماعي ، أو المعنى الاجتماعي للغة ، وهو جانب لا يمكن إغفاله ، وإلا نكون قد أغفلنا أهم جوانب المعنى، وتجاهلنا أهم خواص اللغة.

وسياق الحال واحد من قسميْ السياق اللذيْن لا يذكر أحدهما حتى يُستدعى الآخر ، وهذان القسمان هما السياق اللغوي الذي تمثله بنية التراكيب اللغوية بأصواتها وكلماتها وجملها وعبارتها ، وسياق الحال وهو جملة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي ، وهو سياق خارجي زائد على النص ، ويطلق المحدثون عليه السياق فوق اللغوي". (٢٣)

ولعل ارتباط السياق اللغوي بسياق الحال يذكرنا بفكرة المقام في البلاغة القديمة ، وهذه الفكرة تعد " المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر ، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة (المعنى الوظيفي " صوتي – صرفي – نحوي" – المعنى المعجمي – المعنى المقامي) وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلامات والأحداث الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال". (٢٤)

واللغة غير المنطوقة جزء من السياق اللغوي ، ومن ثم فإن هناك " تفاعلا متبادلا بين الحركة الجسمية – باعتبارها علامة– ومدلولها بحيث يستدعي كل منهما الآخر من جانب ، وأن بين الحركة الجسمية وبين سياق الحال ارتباطا من جانب آخر ، بحيث يستدعي سياق حركة جسمية معينة لتعطي دلالة معينة تناسب مقتضى الحال ، فسياق الحال هو الذي يشكل هذه الحركات وينتجها لدي المتكلم ، كما يجعل المتكلم ينتج كلمات أو عبارات مناسبة لمقتضى الحال... وكما تختلف العبارات باختلاف المتكلم فإن الحركات الجسمية المصاحبة للكلام تتأثر باختلاف المتكلمين ، وجنسهم ووضعهم الاجتماعي". (٢٥)

إذاً فالسياق له أهمية كبرى في النص ؛ ولذا يمكن القول : إن " معرفة السياق ، وإدراكه عملية ضرورية لتذوق النص وتفسيره ، وهذه هي معرفة الجنس الأدبي للنص ، وكل عمل أدبي تختلف قيمته بناء على جنسه وسياقه. حتى الجملة اللغوية تختلف قيمتها بين نص وآخر حسب جنس النص". (٢٦)

ويمكن اختيار بعض الأحاديث لنتبين من خلالها ارتباط النسق غير اللغوي بسياق الحال، أو بالأحرى نتبين كيف ينتج سياق الحال النسق غير اللغوي.

وأول ما نقف عليه الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " لما اعتزل نبي الله نساءه ، قال : دخلت المسجد فإذا الناس ينكثون الحصى ، ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب ، فقال عمر : لأعلمن ذلك اليوم ، فدخلت على عائشة فقلت يا بنت أبي بكر بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت مالي ومالك يا بن الخطاب عليك بعيبتك ، قال : فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها ياحفصة بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت أشد البكاء ، فقلت لها أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هو في خزانته في المشربة ، فدخلت فإذا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على أسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله

عليه وسلم وينحدر ، فناديت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أني جئت من أجل حفصة ، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها ، ورفعت صوتي فأومأ إليّ أن أرقه ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مضجع على حصير ، فجلست فأدنى إزاره ، وليس عنده غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبيه". (٢٧)

إن سياق الحال المتلبس بهذا السياق اللغوي يدور حول ما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصاب مملوكته مارية القبطية في بيت زوجه حفصة بنت عمر في يومها ، فوجدته حفصة في ذلك ، فغارت لذلك ، فقال ألا ترضين بأن أحرِّمها فلا أقربها ؟ قالت : بلى، فحرَّمها على نفسه ، وقال : لا تذكري ذلك لأحد ، فخبرت عائشة بالحديث فأظهر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما نبأت به صاحبتها ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما أظهره الله عليه من إفشائها سره ، وأعرض عن بعض ، وقد مال قلباهما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم ماريه على نفسه. (٢٨) ومن ثم نزل **قوله تعالى** :" **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**". (٢٩)

وبلا شك أن هذا الموقف شديد على نفوس الصحابة ، وعلى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى نفس حفصة التي أفشت سر زوجها ، ومن هنا نجمت مجموعة من الأنساق غير اللغوية من خلال

هذا السياق الحالي ، تتمثل في : نكث الصحابة الحصى ، وهذه العلامة تشير إلى مدلول الحزن والحيرة والقلق معا ، ويبلغ الحزن مداه من خلال الدال غير اللفظي " فبكت أشد البكاء" ، إن السياق المقامي يحتم على حفصة – الذي يعتصر الحزن قلبها – ألا ترد بكلمة واحدة فتولى النسق غير اللغوي مهمة التعبير عما في نفسها من حزن وألم ، ولوم للنفس ، وتأنيب للضمير ، كل هذه الدلالات يمكن أن توحي بها تلك العلامة غير اللغوية، وأكثر من ذلك طالما حددنا السياق المقامي أو الحالي.

والمقام يقودنا إلى نسق غير لفظي آخر ، إنه مقام الحزن ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أشد الجميع حزنا، ولذا كانت الإشارة أفصح من العبارة ، فأومأ إلى عمر ، فلم يستطع الكلام لشدة حزنه ، وأطال الإضجاع حتى أثر الحصير في جنبيه.

ونتبين – أيضا – علاقة السياق الحالي بالإشارة غير اللفظية من خلال حديث شعبة : " أن يهوديا رأي على جارية أوضاحا [٣٠] ففتلها بحجر فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم وبها رمق ، فقال : أقتلك فلان ؟ فأشار شعبة برأسه أن لا ، فقال أقتلك فلان؟ فأشار شعبة يحكيها أن لا ، قال : أقتلك فلان ؟ فأشار شعبة يحكيها نعم ، فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتله بحجرين". [٣١]

إن المقام هنا يشير إلى امرأة تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ومن هنا تعطلت لغة الكلام ، وعبرت لغة الإشارة ، مصورة حالة من الضعف والإعياء ، وراسمة عجز الكائن البشري أمام سطوة الموت.

ولا يمكن أن ننحي المتلقي من السياق المقامي والثقافي ، فهو يعد " محورا رئيسا في المفاهيم النظرية والإجرائية في اتجاهات نقد استجابة القارئ ... وشكلت فاعلية القراءة المهمة المركزية للنقد المتمحور حول القارئ". (٣٢)

والحديث النبوي كان في نشأته الأولى حديثا شفاهيا والمتكلمون والمستمعون هم جزء من الحديث الشفاهي ، ومن ثم فالتفاعل الشفاهي جزء من موقف مشترك يتضمن المبدع والمتلقي ، والمعلومات تمر عبر وسائل بالإضافة إلى اللغة ، مثل تعبيرات الوجه والتنغيم وحركات اليد.. إلخ ، ويستطيع المتكلمون الرد سريعا على ردود الأفعال غير اللغوية من قبل المستمعين ، أما اللغة المكتوبة فهي ليست جزءا من موقف مشترك يوحد بين الكاتب والقراء. (٣٣)

ومع أن الحديث النبوي وصل إلينا مكتوبا ، فإن الرواة استطاعوا أن ينقلوا إلينا التعبيرات غير اللغوية سواء أكانت صادرة من قبل المتكلم/ الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم من قبل المتلقين/ الصحابة.

ففي الحديث السابق راعى الرسول صلى الله عليه وسلم حالة المتلقي / المرأة ، فأتى ببعض المشتبه فيهم ، فمثلوا أمام المرأة التي أوشكت على مفارقة الحياة ، فتولت حركة الرأس – بدلالتها على الرفض والقبول– التعبير " إن هذه الحركات البسيطة تؤثر في مدى تصديق أو موافقة الناس على الرواية ... من خلال هز الرأس بالإيجاب والرفض... إن تحريك الرأس بالقبول أو الرفض هو نوع من الاتصال

مع الآخرين ، وهو نوع من التأكيد الذاتي الذي يؤكد لنا ما نشعر بـــه ، وما نفكر بشأن قضية ما ". (٣٤)

وهناك دور آخر للمتلقي/ شعبة أحد رواة الحـــديث ، فقـــد أخـــذ يحاكي إشارات المرأة ليكمل مهمة التواصل للمتلقين الذين لـــم يكونـــوا جزءا من السياق ، ومن ثم أصبح شعبة متلقيا ومبدعا في آن واحـــد ؛ ولذا لا نغفل دور رواة الحديث المهم في نقل الأنساق غير اللغوية إلـــى المتلقي ، مما جعل هذه الأنساق لا تفقد حيويتها حتى عند قراءتنا لهـــا من خلال النص المكتوب.

ونختم هذا المبحث بالحديث الذي رواه سهل بن سعد الســـعادي " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بني عمـــرو بـــن عـــوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقـــال أتصـــلي للناس فأقيم ؟ قال نعم ، فصلى أبو بكر ، فجاء رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم ، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس ، وكان أبـــو بكر لا يلتفت في صلاته ، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امكث في مكانك ، فرفع أبو بكر رضي الله تعالى عنه يديه ، ثم استأخر أبوبكر حتى استوى في الصف ، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فلما انصرف قال : يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك فقـــال أبو بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يديْ رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مـــالي رأيـــتكم

أكثرتم التصفيق من رابه شيء في صلاته فليسبح ، فإنه إذا سبح اُلتفت إليه ، إنما التصفيق للنساء". (٣٥)

نلحظ هنا أن القرائن الحالية أو المقامية أفرزت مجموعة من الدوال غير اللغوية ، فالمقام مقام الصلاة ، والكلام يبطلها ، وشق على الصحابة وعلى أبي بكر / الإمام أن يصلي الرسول صلى الله عليه وسلم مأموما ، ومن ثم كان نتاج هذا السياق الحالي مجموعة من الأنساق غير الكلامية (تصفيق – التفات – إشارة – رفع يدين).

تصفيق >>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>> لفت الانتباه

التفات أبي بكر >>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>>> استجابة للمثير

إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم >>>>>>> أمر بالبقاء في المكان

رفع أبي بكر يديه >>>>>>>> حمْد لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم

إن المقام هنا استدعى الأنساق غير اللفظية ، ولم نر نسقا لفظيا واحدا إلا بعد أن تحول المقام من مقام الصلاة إلى مقام الفراغ منها ، فظهر دور النسق اللغوي في تعليم الصحابة أن يسبح الرجال ، ويصفق النساء.

ولعل هذه الأحاديث الثلاثة قد أوضحت الفكرة ، فكل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبطة أنساقها اللفظية وغير اللفظية بسياق الحال ، أو المقام.

٣- وظائف اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي

أغلب هذه الوظائف يرجعها المهتمون بدارسة اللغة غير المنطوقة إلى حركات اليد ، ويقسمونها أربعة أقسام هي : الوظيفة المستقلة ، والوظيفة التوضيحية أو التو كيدية ، والوظيفة التصويرية أو الوصفية ، والوظيفة التنظيمية. (٣٦)

ويمكن عرض هذه الوظائف على النحو الآتي :

أ- الوظيفة المستقلة :

تتحقق هذه الوظيفة " حين تؤدي معنى كاملا يمكن أن يعبر عنه بمقابل لفظي ، وهي حينئذ تأخذ شكل الشعار ، أو الاصطلاح المتفق عليه بين شعوب العالم ، أو بين أبناء ثقافة معينة ، أو بين مجموعة متجانسة". (٣٧)

ويندرج الميزان الذي يرمز إلى العدل – الذي أشرنا إليه في مقدمة هذا البحث – تحت هذه الوظيفة ، وكذلك إشارات المرور .. إلخ.

وهناك رموز إشارية ذات استقلالية وظيفية متفق عليها بين أبناء الديانة الواحدة ، وتتحول هذه الإشارات إلى شعار ديني يتوارثه مَن يدينون بهذا الدين أو ذاك.

ومن هذا النوع المتفق عليه بين المسلمين ، الإشارة بإصبع السبابة في التشهد أو الدعاء. وهذا – بلاشك- ما فعله الرسول صلى عليه وسلم وتبعه المسلمون جيلا بعد جيل.

ونعاين ذلك في وصف الزبير ، قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في الثنيتين ، أو في الأربع يضع يديه على ركبتيه، ثم أشار بإصبعه" .(٣٨)

إن هذه الإشارة أدت معنى مستقلا و استغنى بها عن اللفظ ، وأضحت رمزا يُعبر به عن التوحيد ، وارتباط العبد بخالقه في حالة من حالات الصلة بين البشرية والربانية، والإشارة بإصبع واحد إفراد لله بالوحدانية ، وهذا ما يفسره حديث سعد بن أبي وقاص ، قال : "مر النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أدعو فقال : أحد أحد وأشار بالسبابة".(٣٩)

وهناك إشارة أخرى يمكن الوقوف عندها في هذا الصدد وردت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت على راحلته ، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه".(٤٠)

الإشارة إلى الركن في أثناء الطواف من الإشارات التي أخذت شكل الرمز أو الاصطلاح بين الجماعة المسلمة ، ومن ثم قامت مقام اللفظ في تعظيم هذا الركن وإجلاله دون التفكير في المغزى من وراء هذه الإشارة ، فالأمر أمر طاعة وإذعان.

ب- <u>الوظيفة التوضيحية أو التأكيدية</u>:

تتحقق هذه الوظيفة غالبا " حين تأتي حركات اليد مصاحبة للكلام بقصد إيضاحه أو تأكيده ". (٤١) ويجدر بنا أن نسوق بعض الأحاديث – مع كثرتها– لتوضيح هذه الفكرة.

وأول ما نقف عليه حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس فيما خمسة أوسق[٤٢] صدقة ، ولا فيما خمسة ذود [٤٣] صدقة ، ولا فيما خمس أواق صدقة.

وقال عمارة (أحد رواة الحديث) سمعت أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار صلى الله عليه وسلم بخمس أصابعه". [٤٤]

إن الإشارة هنا بأصابع الكف جاءت مصاحبة للفظ خمسة الذي ورد في النص ثلاث مرات وهذه المصاحبة أدت وظيفة توضيحية تأكيدية بقصد الإفهام والتواصل بين المتكلم والمتلقي.

وهذه الإشارة- أيضا – أدت الدور الذي يقوم به التكرار اللفظي، فشكّل النسق اللفظي وغير اللفظي طرفيْ التكرار ، ليؤدي هذا التكرار وظيفته من تأكيد وإفهام على حد قول ابن قتيبة[٤٥] : " فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ، ومن مذاهبهم : التكرار إرادة التوكيد والإفهام"

ونسوق نصا آخر نتبين من خلاله الوظيفة التأكيدية التوضيحية . " ذهب عبدالله بن نافع ومعه رجل من بني ليث حتى دخل على أبي سعيد الخدري ، فقال : إن هذا الرجل أخبرني أنك تخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الورق بالورق إلا مثلا بمثل ، وعن بيع الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ، فأشار أبي سعيد بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه ، فقال أبصرت عيناي ، وسمعت أذناي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا

مثلا بمثل ، ولا تشفعوا بعضا على بعض ، ولا تبيعوا شيئا منه بناجز إلا يدا بيد". (٤٦)

جاءت الإشارة هنا إلى العينين مصاحبة البصر ، وإلى الأذنين مصاحبة السمع على طريقة مراعاة النظير ، وهذه البنية كسابقتها تُعد بنية تكرارية بين طرفين : طرف مجرد يمثله النسق اللفظي وطرف حسي مادي يمثله النسق غير اللفظي ، ولعل هذا يكون أكثر نفاذا إلى ذهن المتلقي.

وأضحت الوظيفة التأكيدية الناتجة عن هذه المصاحبة لها أهميتها في هذا المقام ، فقد تسرب الشك إلى رواية الرجل الليثي ، فاحتاج المقام إلى تأكيد لإزالة هذا الشك ، فاستخدم أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الإشارة إلى العينين و الأذنين مصاحبتين عبارتيْ : أبصرت عيناي ، وسمعت أذناي ، حتى يزيل الشك من نفس عبدالله بن نافع مؤكدا له سماعه الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتتجلى الوظيفة التوضيحية أو التأكيدية – أيضا – في حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس أحد منكم ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بمغفرة ورحمة ، وقال ابن عون (أحد رواة الحديث) بيده هكذا، وأشار على رأسه ، ولا أنا حتى يتغمدني الله منه بمغفرة ورحمة ". (٤٧)

إن إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم على رأسه وردت مصاحبة لفظ أنا ، إنها تأكيد على الذات ، وتوضيح لبشرية النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يستثني نفسه من حاجة البشر جميعا إلى رحمة الله ومغفرته.

وهذه الإشارة – أيضا – توكيد على دلالة كلمة أنا ، وإبراز لمضمونها الانفعالي ، علاوة على دورها التوضيحي ، المتمثل في الطرفين الحسيين أنا والإشارة على الرأس ، ومن ثم أدت تلك الإشارة دورا تأكيديا وتوضيحيا في آن واحد.

ج- الوظيفة التصويرية أو الوصفية:

هذه الوظيفة " تقوم فيها حركات اليد بتصوير الشيء في الهواء ، أو تتخذ شكل الشيء الذي يتحدث عنه المتكلم ، كالحجم أو الطول ، وذلك عن طريق وضع المتكلم يديه متباعدتين، يمينا أو شمالا بقدر الحجم المراد تحديده. ومن أمثلة الوظيفة التصويرية كذلك استخدام السبابة ، وإدارتها في الهواء عدة مرات لتصوير الشكل الحلزوني". (٤٨)

وتتجلى هذه الوظيفة في بعض الأحاديث النبوية ، ويمكن أن نذكر منها حديث سفيان عن أبي بن كعب في ذكر قصة موسى والخضر عليهما السلام "... فلما خرج من البحر مروا بغلام مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا ، وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقصف شيئا ، فقال له موسى " أَقَتَلْتَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا- قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا- قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا – فَانْطَلَقَا

حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ"(٤٩) مائلا أومأ بيده هكذا ، وأشار كأنه يمسح شيئا إلى فوق ، فلم أسمع سفيان يذكر مائلا إلا مرة".(٥٠)

في هذا الحديث جاء النسق غير اللفظي مرتبطا بلفظين مجردين هما : الفعل "قلع" ، واسم الفاعل" مائل" ، واللفظان المجردان تعبير عن حركتي القلع والميل ، فأضفى المتلقي/ الراوي حيوية على النص من خلال تصوير فعلىْ القلع والميل ؛ فمن خلال المراوحة بين المجرد اللفظي والمحسوس غير اللفظي ، لم تقف الصورة ثابتة جامدة ، بل أضحت نامية متحركة في مناوشة مستمرة لذهن المتلقي من خلال حركتها بين المجرد والمحسوس ، ومن خلال حركتها – أيضا- بين المحسوس والمحسوس نفسه مرورا بالإيماء بأطراف الأصابع ، ثم القصف ، وأخيرا ميل الجدار الذي يريد أن ينقض.

إن هذا التصوير الإشاري في هذا النص مناسب ومتساوق مع الأنساق اللفظية التي تقاوم الثبات ، وتعبر عن الحركة ، وتحاكي أفعال الأشخاص الذين يحركون أحداث هذه القصة – التي اخترنا منها بعض السطور- مركزين على الشاهد غير اللغوي ومصاحبته لصنوه اللغوي.

ونلمح الوظيفة التصويرية في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : " كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيسمع من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، فيعجبه ، ولا يحفظه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إني

أسمع منك الحديث ، فيعجبني ، ولا أحفظه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استعن بيمينك ، وأومأ إلى الخط ".(٥١)

في هذا الحديث وردت إشارة النبي صلى الله عليه وسلم مصورة حركة اليد وهي تكتب ، وكانت هذه الإشارة لها أثرها في النفاذ إلى ذهن المتلقي ، وكذلك لها قيمتها في تخصيص العام ، فلو وقف النص عند " استعن بيمينك" لوقع المتلقي في حيرة ، فاليد اليمنى يستخدمها الإنسان في أفعال متعددة ومتنوعة ، والكتابة جزء من أفعال اليد ، ومن ثم أدت الإشارة دورا فاعلا في دفع توهم قد يقع فيه المتلقي.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وقع المتلقي بين فعلىْ الإعجاب وعدم الحفظ ، أي أنه متردد بين الإثبات والنفي. الإعجاب يولد لديه حالة من النشوة والفرح ، وعدم الحفظ يولد عنده حالة من الحزن والقلق ، فجاءت الإشارة إلى الخط طامسة النفي (لا أحفظ) ، منسحبة نحو الإثبات " فيعجبه". وهذه الإشارة – أيضا– لها أهميتها من الناحية النفسية ، فقد أزالت حالة الحزن والقلق التي كانت تعتري المتلقي ، فما يفر من ذاكرته يجده مكتوبا بين يديه.

د – الوظيفة التنظيمية

وهذه الوظيفة " تقوم بضبط التفاعل البيني ، وتتحكم في إجراءاته، فهي تحدد متى يسكت شخص ، ومتى يبدأ آخر الكلام ، وقد تدل حركة يدوية معينة للمتكلم على معنى "انتظر" أو "تمهل" أو "دعني أتكلم" أو "لا تقاطعني" بتحريك اليد عدة مرات بطريقة معينة ، أو تدل على معنى "الدعوة إلى الصمت": عن طريق وضع اليد على الفم". (٥٢)

وتتضح هذه الوظيفة التنظيمية من خلال الحديثين الآتيين :

الحديث الأول : عن جابر " أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفة ، وجعل يقول : السكينة عباد الله ، يقول بيده : هكذا ، وأشار أيوب (أحد رواة الحديث) بباطن كفه إلى السماء " (٥٣)

الحديث الثاني : " ما رواه معاذ عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ، ونزّلهم منازلهم ، فقال لينزل المهاجرون ههنا ، وأشار إلى ميمنة القبلة ، والأنصار ههنا وأشار إلى ميسرة القبلة ، ثم لينزلن الناس حولهم " (٥٤)

وردت الإشارة في كلا الحديثين في أثناء أداء مناسك للحج ؛ لتنظيم الحجاج من الصاحبة ، وهم – بلا شك – كثيرون ؛ ولذا ، فالإشارة مناسبة في هذا المقام .

وجاءت الإشارة في الحديث الأول مصاحبة النسق اللفظي" السكينة" ، مؤكدة إقرار النظام ، نافية أية حالة من حالات الفوضى ، ووردت الإشارة في الحديث الثاني مستقلة ، ولاعبة دورا رئيسا في تنظيم منازل القوم.

والإشارة في كلا الموقفين مثلت نوعا من الحضور ، لكن هذا الحضور يخفي وراءه غيابا ، فهناك وجه غائب وراء هذه الإشارة ، والغياب في هذا النص يفضي إلى دلالة الإذعان والخضوع والطاعة والحب جميعاً.

إن الإشارة صادرة من القائد / النبي صلى الله عليه وسلم ، إنها مثير قوي ، قابله الحجاج / الصحابة باستجابة فورية . وسرعة الاستجابة تعبير عن طاعة وحب بين المرسل والمستقبل ، فالمرسل / النبي صلى الله عليه وسلم بشر يُوحى إليه ، ومن ثم كان حبه يفوق حب كل امرئ نفسه ،؛ ولذا آتت الإشارة أكلها من الناحيتين : النفعية / التنظيمية ، والتأثيرية / الجمالية في التعبير عن الطاعة والانقياد والحب.

هذه هي الوظائف التي حددها المعنيون بدراسة الأنساق غير اللفظية . ويمكن أن نضيف إلى الوظائف السابقة وظيفتين أخريين ، هما: الوظيفة التعليمية والوظيفة الجمالية. ولنبدأ بـ :

هـ - الوظيفة التعليمية

الأنساق غير المنطوقة تؤدي وظيفة عظمى في عملية التواصل بين المبدع والمتلقي ، لاعتماد تلك الأنساق على الوسائل الحسية من إشارة و حركة وغير ذلك ، مما يجعلها أكثر نفاذا إلى ذهن المتلقي.

ويمكن الوقوف على بعض الأحاديث ؛ لنتبين من خلالها تلك الوظيفة.

قال سعد بن عبيدة : " سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يقول : الليلة النصف . قال : وما يدريك أن الليلة النصف ؟ سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : الشهر هكذا وهكذا ، وأشار بأصابعه العشر مرتين ، وهكذا في الثالثة ، وأشار بأصابعه كلها وحبس أو خنس إبهامه". (٥٥)

اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة عدد أيام الشهر الهجري على النسق غير اللغوي ، فقد تبين من خلال العلامة الإشارية أن الشهر ثلاثون يوما ، أو تسعة وعشرون يوما .

وكان للمتلقي دور رئيس في إنتاج هذا النسق ، فعدد مَن يقرأ ويكتب في هذه الأمة كان قليلا ، وقصة افتداء أسرى الكفار في غزوة بدر بتعليم المسلمين القراءة والكتابة مشهورة. (٥٦) وفي مثل هذه الحالة يكون المحسوس المادي / غير اللفظي أنجع تأثيرا في المتلقي من المجرد اللفظي.

ونسوق في هذا الصدد حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما " أنه رأى رجلا يحرك الحصى بيده ، وهو في الصلاة ، فلما انصرف قال له عبدالله لا تحرك الحصى وأنت في الصلاة ، فإن ذلك من الشيطان ، ولكن اصنع كما كان رسول صلى الله عليه وسلم يصنع، قال : وكيف كان يصنع ؟ قال : فوضع يده اليمنى على فخذه ، وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام في القبلة ، ورمى ببصره إليها أو نحوها ، ثم قال: رأيت هكذا رسول صلى الله عليه وسلم يصنع". (٥٧)

جاء النسق غير اللفظي هنا لتحقيق وظيفة تعليمية ، من خلالها تم التواصل بين المرسل والمتلقي ، فأضحت وظيفة النسق غير اللغوي تصحيح الخطأ ، والخطأ – أيضا – ورد في نسق غير لغوي مثله (تحريك الحصى) ، والمقام مقام الصلاة ، فكان حتما أن يختفي النسق اللغوي تماما ، ويحل محله نسق معاكس له.

ولما كانت الوسائل الحسية أكثر نفاذا إلى ذهن المتلقي ، ونافعة في التواصل بين المرسل والمستقبل ، اعتمد عليها المرسل / ابن عمر رضي الله عنهما ، فجاء نسقه غير اللغوي محاكيا صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، ومن هنا حققت الإشارة وظيفتها النفعية ، وهذا ما أراده المرسل.

لكن النسق غير اللفظي يحمل في طياته وظيفة تأثيرية ، إنه يشير إلى السكينة والوقار في الصلاة ، والإقرار لله بالتفرد والوحدانية ، ومن ثم يكون قلب المرء موصولا بربه.

ويتجلى الهدف التعليمي من خلال الحديث التالي :

"جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ، فقال : إني اجتنبت فلم أصب الماء ، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب : أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت ، فأما أنت فلم تصلِّ ، وأما أنا فتمعكت [٥٨] فصليت ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكفيك هكذا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه". [٥٩]

هنا نرى النبي صلى الله عليه وسلم يعلم عمار بن ياسر حكما شرعيا ، يعلمه التيمم ، وكان الصحابة حديثي عهد بالإسلام ، والأحكام الشرعية لم تكن معروفة – بلا شك – لدى العرب من قبل ، ومن ثم خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم خالي الذهن ، فكانت الوسيلة الحسية المعتمدة على نسقها غير اللفظي هي الأجدى ، إنها وسيلة

تراعي حالة المتلقي ، فالمتلقي حاضر في النص ، وإن كان قابلا ، فهو في الوقت نفسه عنصر فاعل فيه ، إنه هو الذي حدد النسق التعبيري.

إن المعلم يعلم الحكم ، لكن المتلقي يجهله ، فجاء النسق الذي يناسبه في صورة حية نامية متطورة ممتدة عبر أفعال (الضرب – النفخ – المسح) متآزر معها الدالان الحسيان : الوجه والكفان .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ونكتفي بتلك الشواهد علها تكون قد أوضحت الفكرة.

ز- الوظيفة الجمالية

من المعروف أن اللغة تحمل شفرتين : شفرة توصيلية ، وأخرى جمالية ، وتكمن الشفرة التوصيلية في لغة الحياة اليومية ، أما اللغة الأدبية فتحمل الشفرتين معا.(٠٦)

والحديث النبوي أكمل النصوص فصاحة وبلاغة وبيانا ، وما مر بنا من أحاديث تظهر فيها الشفرة الجمالية واضحة ، ويمكن أن نسوق مجموعة أخرى من النصوص نتبين من خلالها الوظيفة الجمالية.

ونقف أولا على الإشارة التي تحمل معنى الأمر في حديث أنس ، قال : " لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة ، فذهب أبو بكر يتقدم ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه، فلما وضح النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنظرنا منظرا كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا ، فأومأ

النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخي النبي صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات ". (٦١)

وهذه الإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر تحمل دلالة فعل الأمر " تقدم " والأمر " من أنواع الإنشاء ، والأظهر أن صيغته ... موضوعة لطلب الفعل استعلاء ، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ، وتوقف ما سواها على القرينة... ثم إنها أعني صيغة الأمر ، قد تستعمل في غير طلب الفعل استعلاء بحسب مناسبة المقام". (٦٢)

ويشترط البلاغيون دخول صيغة الأمر إلى لغة الأدبية مفارقتها حالة الاستعلاء ، وتحولها إلى سياقات أخرى يقتضيها المقام وقرائن الأحوال.

ولعل الإشارة التي تحمل بنية الأمر في الحديث السابق ، فارقت حالة الاستعلاء ، وأسهمت حالة من حالات الضعف في إفراز البنية الأمرية ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يوشك أن يلحق بربه ، فهو في حالة مرض وضعف شديدين ، ومن ثم لم يقدر على أمر أبي بكر لفظا، فأمره إشارة ، فكان النسق غير اللفظي أبلغ ومناسبا للمقام.

وتحمل الإشارة – أيضا – معنى الأمر في حديث جابر بن عبدالله ، قال : " كنت جالسا في داري فمربي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليَّ فقمت إليه ، فأخذ بيدي فانطلقنا حتى أتى حُجَر نسائه ، فدخل ثم أذن لي ، فدخلت الحجاب عليها ، فقال : هل من غذاء ؟ فقالوا: نعم . فأتى بثلاثة أقرصة ، فوضعن بين يديه فأخذ **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قرصا فوضعه بين يديه ، وأخذ قرصا فوضعه

بين يديَّ ، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين ، فجعل نصفه بين يديه ، ونصفه بين يديَّ ، ثم قال هل من آدم ، قالوا : لا إلا شيء من خل . قال : هاتوه ، فنعم الأدم هو".(٦٣)

إن الإشارة في الحديث السابق سدت مسد فعل الأمر (تعال) " ويلاحظ أن إنتاج بنية الأمر تحتاج إلى حضور طرفيْ الاتصال بكل مكوناتهما الداخلية والخارجية ، ذلك أن علو أحد الطرفين قد يكون ادعاء لا حقيقة " .(٦٤)

إن الإنتاج الصياغي في هذا النص النبوي يحطم علو أحد الطرفين على الآخر ، ويتحول الموقف إلى حالة من حالات الحب بين النبي صلى الله عليه وسلم وأحد صحابته ، وتآزر النسق غير اللفظي مع النسق اللفظي في خلق صورة نامية شكلتها مجموعة الأنساق الدالة على الصوت واللون والحركة.

وكما حملت الإشارات دلالات الأمر ، فقد حملت – أيضا – دلالات النهي ، ويمكن أن نلمح ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : " لددنا (٦٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ، فأشار أن لا تلدوني ، فقلت كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : لا يبقى أحد منكم لد.غير العباس ، فإنه لم يشهدكم".(٦٦)

وبنية النهي لا تختلف كثيرا عن بنية الأمر ، فالنهي " طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء"(٦٧) ، ومن الملاحظ لدي البلاغيين " أن دخول بنية النهي إلى الأدبية يقتضي تخلصها من ملازمة الاستعلاء ،

وهو ما يدفع بها إلى سياقات بعيدة عن أصل المعنى لتمارس إنتاج دلالات بديلة". (٦٨)

والسيدة عائشة فسرت إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم ببنية النهي " لا تلدوني " ، وهذه البنية تذكرنا بحديث جابر ، حيث فارقت بنية الأمر الاستعلاء ، كذلك نرى بنية النهي هنا تفارق الاستعلاء ، ويمارس النسق غير اللغوي دوره الجمالي في إفراز دلالات الضعف والإعياء التي تعتري الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء مرضه.

وقد يشير النسق غير الكلامي في بعض الأحيان إلي معنى " الحذف " ، ويتضح ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : " لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق ، ووضع السلاح ، واغتسل ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم ، قال : فإلى أين ؟ قال : ههنا ، وأشار إلى بني قريظة ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ". (٦٩)

ونلحظ في هذا النص المعتمد على الحذف عدم الوضوح الكامل ،؛ لأن الوضوح الكامل – غالبا – ما يبعد الخطاب الأدبي عن كثافته . (٧٠)

وبُعْد هذا النص عن الوضوح الكامل أتاح للمتلقي أن يتدخل مباشرة بإحضار الغائب اعتمادا على السياق وقرائنه الإشارية، وقد تدخلت السيدة عائشة – بوصفها المتلقي – بإحضار الغائب ، وتفسير إشارة جبريل عليه السلام إلى " بني قريظة " .

ومن سياقات الحذف ما يعود " إلى المبدع واتصال حركته الذهنية بما يتحدث فيه أو مَنْ يتحدث عنه ، إذ تنتابه حالتان متقابلتان ، إحداهما تجعل نظرته إلى المسند إليه المحذوف قائمة على التقدير والتعظيم ، والأخرى تجعلها الامتهان والتحقير ، وهو ما يجعل السياق مزدوجا في فاعليته الإنتاجية".(٧١)

ومن خلال سياق النص السابق يتضح أن جبريل عليه السلام لم يذكر بني قريظة ، وأشار إليهم امتهانا لهم وتحقيرا من شأنهم.

ومن المباحث التي اهتم بها البلاغيون كثيرا مبحث الإيجاز ، وقد انصب اهتمامهم لتحقيق هذه البنية على الأنساق اللفظية ، ويمكن أن يلعب النسق غير اللفظي دورا في خلق بنية الإيجاز ، . ونلمح ذلك في حديث يونس بن ميسرة قال : " خرجت مع أبي سعيد الزرقي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شراء الضحايا ، قال يونس : فأشار أبو سعيد إلى كبش أدغم ليس بالمرتفع ولا بالمتضع في جسمه ، فقال : اشترِ لي هذا كأنه شبهه بكبش رسول الله صلى الله عليه وسلم ". (٧٢)

وقد درس البلاغيون الرمز والإيماء والإشارة ضمن أنواع الكناية.(٧٣) ، ولم يدرسوا في مبحث الإيجاز أي نسق غير لفظي ، وانصب اهتمامهم على الأنساق اللفظية فقط. لكنا نرى لمحة ذكية لابن رشيق حيث يربط الإشارة بالإيجاز على حد قوله : " والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغة عجيبة تدل على المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز الحاذق الماهر ، وهي نوع من الكلام

لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملا ، ومعناه يعيد ظاهر لفظه".(٧٤)

والإشارة في النص السابق كانت لها قدرة بالغة على الإيجاز والاختصار ، فقد اختزلت مجموعة من العبارات ، هي : كبش أدغم – ليس بالمرتفع ولا المتضع في جسمه – يشبه كبش رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه الإشارة – أيضا – خففت على المتلقي عناء البحث عن الكبش المطلوب ضمن مجموعة كثيرة من الكباش ، وأسهمت في تحديد الهدف المطلوب ، والاختصار في الوقت.

وفي بعض الأحيان نرى الإشارة في الحديث النبوي تؤدي دورا في لفت الانتباه ، كما في حديث أنس ابن مالك ، قال : " صلى لنا النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رقي المنبر ، فأشار بيده قبل قبلة المسجد ، ثم قال : لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار ، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر ثلاثا".(٧٥)

في هذا الحديث نرى الإشارة جاءت سابقة الأنساق اللفظية ، وتلك الأنساق تشير إلى أمر خطير ، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ،الجنة والنار ماثلتين في قبلة المسجد ، ومن ثم لعبت الإشارة دورا مهما في لفت انتباه المتلقي ، وإثارة اهتمامه.

ويمكن أن يحقق النسق غير اللغوي نوعا من الالتفات في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " قال النبي صلى الله عليه وسلم : أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة، وأشار بيديه على أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ، ولا نكفت الثياب والشعر".(٧٦)

لقد عرف البلاغيون الالتفات بأنه " انتقال من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول".(٧٧) ، والمخالفة عندهم تتمثل في الضمائر والأعداد والزمن.(٧٨)

ويمكن أن نتوسع في هذه المخالفة لتشمل الانتقال من نسق لغوي إلى آخر غير لغوي أو العكس ، ولا تتحقق المخالفة في أسلوب الالتفات إلا إذا كانت في أمر واحد ، أما إذا امتدت إلى أمرين فأكثر فلا يعد الأسلوب التفاتا.

وفي الحديث السابق تمت المخالفة في أمر واحد خاص بسبعة أعظم يسجد الإنسان عليها ، فوردت الجبهة في سياق النسق اللغوي ، ثم التفت الأسلوب إلى نسق إشاري وردت من خلاله الأعظم الستة الباقية.

ونرى في هذا الالتفات إبرازا لكلمة بعينها لأن " هناك ترتيبا معتادا يطرق الذهن لأول وهلة ، وهذا الترتيب يمكن مخالفته ، ولكن مجرد المخالفة ينبئ عن غرض ما ، ذلك الغرض هو : إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها ".(٧٩)

والكلمة التي أبرزها هذا الأسلوب "الجبهة" ، وهي رمز الكبرياء في الإنسان ، وسجودها إقرار لعظمة الله وكبريائه.

وبجانب إبراز كلمة "الجبهة" من خلال هذا الأسلوب الالتفاتي ، تتجلى ، قيمته – أيضا – في التأثير على المتلقي على حد قول الزمخشري: [٨٠] " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد".

وآخر ما نقف عليه في هذا المبحث الدور التصويري للنسق غير اللغوي في الحديث النبوي ، ومن ثم " نتوقف عند لون فريد من التصوير يرتبط بالطبيعة الشفاهية للحديث النبوي، حين يوظف رسول الله صلى الله عليه وسلم معالم الواقع المادي المحيط بالمتلقيين آوان سماعهم الحديث النبوي في بناء ما ينطوي عليه من تصوير مما يبلور انتقالا مناسبا من عالم النص إلى عالم الواقع المادي من ناحية ، ويكسب المعنى المسوق عبر التصوير بداهة تماثل بداهة تماثل معالم هذا الواقع من ناحية". [٨١]

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم في التصوير الإشارة والحركة والرسم. وكان لكل وسيلة من هذه الوسائل أثرها في موضوعها ، فالإشارة " إذا كانت في محلها كانت معينة على الفهم ، لافتة للنظر ، طاردة الشرود ، مشركة في المتابعة أكثر من حاسة ، فالناظر يرى الإشارة ، ويسمع العبارة ، ويذكر كل منهما الأخرى.

وكانت لحركته صلى الله عليه وسلم وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء ، فحركته معبرة تلفت النظر ، وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر.

أما الرسم فإنه أسلوب تعليمي يجلو الأمر ، ويوضحه أتم توضيح ... وإنه لمستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ أن يكون الرسم أداة في قوم أميين".(٨٢)

وفي هذا المجال نرى الصورة التي اعتمدت على التشبيه والكناية وردت بكثرة في الحديث النبوي ، ولكثرة تلك الصور ، يجدر بنا اختيار نماذج قليلة ، حتى تتبين الفكرة.

ونبدأ الحديث عن التصوير بالإشارة والحركة ، ونرجئ الحديث عن التصوير بالرسم لاحقا.ومن الصور التشبيهية التي اعتمدت على الإشارة ، ما رواه سعد بن سهل عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئا".(٨٣)

وكذلك ما رواه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضم أصابعه".(٨٤)

الحديثان السابقان يبرزان علاقة التلازم بين النبي صلى الله عليه وسلم ، وكافل اليتيم ، وعائل الجاريتين في الجنة ، وارتبط المشبه بعنصريين لغويين حسيين ، وارتبط المشبه به بعنصرين غير لغويين حسيين. واعتماد الحديثين على التصوير بهذا الشكل يجعل المتلقي أكثر

تجاوبا وتفاعلا مع النص حيث تحوُّل الكلام من النسق المعياري إلى النسق الجمالي يجعله أكثر تأثيرا على حد قول سورل : " إن الاستعارة والتشبيه هما حالات من المبالغة".[٨٥] ولعله يقصد بالمبالغة الأثر الجمالي الذي يحدث إثر تحول القول من التعبير الحقيقي المعياري إلى التعبير العدولي أو الانحرافي الكامن في عنصر التصوير.

والاعتماد على الإشارة كان له الأثر الفاعل في النص حيث " إن الإشارة منشط يشترك مع منشط آخر من استدعاء الصورة الذهنية".[٨٦]

وهذه الإشارة في النصين مثلت أحد طرفي التشبيه ، وقد تفاعل المشبه به مع الطرف الآخر / المشبه بعنصريه اللغويين في استحضار صورة ذهنية لعلاقة القرب في الجنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم وعائل الجاريتين ، وكذلك انفتح النص لتخيل عالم الجنة الغيبي.

ونقف على صورة تشبهية أخرى اعتمدت على عنصر الحركة ، في حديث بريدة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هل تدرون مثل هذه وهذه ؟ ورمى بحصاتين. قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : هذاك الأمل ، وهذاك الأجل".[٨٧]

من خلال الحديث السابق يفهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم رمى حصاتين إحداهما قريبة والأخرى بعيدة ، وبالطبع القريبة تشير إلى الأجل ، والبعيدة تشير إلى الأمل ، ودائما ما يكون الأمل أوسع من الأجل.

والنسق غير اللفظي في هذه الصورة التشبيهية أدخلها في منطقة المبصرات ، وكذلك اعتمد طرفا التشبسه علي طرف حسي وآخر عقلي: الحصاة القريبة كالأجل والبعيدة كالأمل، وهذا أدعى إلى نفاذ الصورة إلى ذهن المتلقي ، حتى يحسب حسابا للمنية التي تنتظره.

وإذا انتقلنا من الصورة التشبيهية إلى الصورة الكنائية التي تعتمد على النسق غير اللغوي وجدناها كثيرة ، لكن يمكن اختيار صورتين فقط حتى لا يضيق بنا المجال.

الصورة الأولى : من حديث أُبَيّ بن كعب قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم. قال : يا أبا المنذر أي آية من كتاب الله معك أعظم. قلت : لا إله إلا هو الحي القيوم. قال : فضرب في صدري. وقال : ليهنك العلم أبا المنذر".(٨٨)

الصورة الثانية : من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الخطبة ، فرأى أنه لم يسمع النساء ، فأتاهن ومعه بلال ناشرا ثوبه ، فوعظهن ، وأمرهن أن يتصدقن ، فجعلت المرأة تلقي ، وأشار أيوب (أحد رواة الحديث) إلى أذنه وحلقه".(٨٩)

وقبل أن نحلل الصورة الكنائية في النصين السابقين يجدر بنا أن نقف على مفهوم الكناية ودلالتها . فقد عرف البلاغيون الكناية بأنها " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز معناه حينئذ". (٩٠)

إذاً من خلال التعريف السابق يتضح أن المعنى الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق وقابلان للقصدية. (٩١) ومن هنا تسهم الكناية في إنتاج الدلالة ، وتصبح " بنية ثنائية الدلالة كثيرة اللوازم تجهد الذهن إلى درجة معينة في الوصول إلى ناتجها ". (٩٢)

وإذا عدنا إلى الحديثين السابقين وجدنا النسق غير اللغوي المعتمد على ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم صدر أبيّ بن كعب كناية عن صفة الإعجاب. وفي الحديث الثاني إشارة أيوب إلى الأذن والحلق كناية عن موصوف هو الحليّ الذي تتزين به المرأة في أذنيها وجيدها.

وإن كان استهداف اللازم لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي ، فإنما " تأتي الإضافة الحقيقية في البنية الثانية من أنها تثبت وتقرر المعنى الكنائي عن طريق تدخل العقل في استخلاص اللازم من الصياغة". (٩٣)

وكان للسياق أثره في استخلاص اللازم من الضرب في الصدر ، والإشارة إلى الأذن والحلق. ومن ثم يتبين لنا أن للأنساق غير اللغوية القدرة على إنتاج بنية الكناية مثل الأنساق اللغوية.

ونقف على نوع آخر من أنواع التصوير أطلق عليه بعض النقاد الصورة التقريرية ، وعرفها بقوله : " هو نوع من أنواع الصورة الفنية تنهض برسمه مدلول الكلمات دون اللجوء إلى البيان ولا يخلو من جمال فطري". (٩٤)

وهذه الصورة "لا تنحصر في التشابيه والاستعارات وسواها من ضروب المجاز ، ولكنها كل صورة توحي بأكثر من معناها الظاهر ، ولو جاءت منقولة من الواقع". (٩٥)

ونرى الذين حللوا هذه الصورة انصب اهتمامهم على النسق اللفظي ، مع أن النسق غير اللفظي يتفوق على نظيره اللفظي في هذا المجال ، حيث إن الأنساق اللغوية لا تستطيع جميعها رسم هذا النوع من التصوير ، في حين أن جميع الأنساق غير اللغوية ترسم الصورة التقريرية؛ ولذا نرى هذه الصورة في جميع الأحاديث التي اعتمدت على اللغة غير المنطوقة ، وقد مربنا منها كثير.

وختار حديثين فقط لندلل بهما على الفكرة التي نرمي إليها:

الحديث الأول : عن شهر بن حوشب قال : " سمعت أسماء بنت يزيد تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم ، وأشار عبدالحميد(أحد رواة الحديث) بيده". (٩٦)

ولعلنا نرى النسق غير اللغوي يتآزر مع النسق اللغوي في رسم عدة صور تقريرية قوامها : فعل المرور ، وفعل القعود ، وتأتي الإشارة محاكية فعل المصافحة ، وكذلك جاءت إشارة الراوي محاكية فعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الملاحظ هنا أن إنتاج تلك الصورة المعتمدة على نسقها غير اللغوي يرجع إلى اختلاف الجنسين ، والحكم الشرعي الذي يحرم مصافحة الرجل المرأة الأجنبية.

الحديث الثاني : عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم بمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق : فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقوبه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما. قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فيه". (٩٧)

ونعاين هنا مجموعة من الأنساق اللغوية مع نسق غير لغوي رسمت صورة كلية لدنو الشمس من الخلق يوم القيامة ، ثم تصور تدرج الخلق في العرق حتى تصل الصورة نهايتها فتأتي الإشارة إلى الفم محاكية إلجام العرق أسوأ الناس أعمالا.

إنها مجموعة من الصور المتعددة ، ربما تكون أكثرا نجاحا من الصور البيانية في تصوير هذا الموقف المهيب الرهيب ، ونقله من عالم الغيب إلى عالم الحس والمشاهدة ، ومن هنا كانت أكثر تأثيرا في المتلقي ، وأشد نفاذا إلى ذهنه وقلبه.

وكما اعتمد التصوير في الحديث النبوي على الإشارة والحركة ، فقد اعتمد – أيضا – على الرسم . ونمثل بحديثين في هذا الصدد.

الحديث الأول : عن عبدالله بن مسعود قال : " خط رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما. وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه ثم قرأ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ(٩٨)" (٩٩)

اعتمدت الصورة في الحديث السابق على تشبيهين : المشبه فيهما غير لغوي مادي ، والمشبه به لغوي عقلي ، ومن خلال التفاعل بين طرفي التشبيه تجسد المعنى ، وظهرت أمام حدقة العين في وضوح الدعوة الإسلامية في طريقها المستقيم ، والدعوات الباطلة المنحرفة في طرقها المتشعبة.

الحديث الثاني : عن عبدالله قال : " خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا ومربعا ، وخط خطا في الوسط خارجا منه ، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال : هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، وهذا الذي هو خارج أمله. وهذه الخطط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا ".[1]

هذه الصورة توضح اتساع الهوة بين الأجل والأمل ، فالأجل قريب يحكم الخناق على الإنسان ، ولكنه يحاول أن يفلت من هذا الخناق تعلقا بالأمل ، ومع تعلقه بأمله يقع فريسة للأعراض ، فإن أفلت من عرض افترسه آخر ، حتى يحكم الموت قبضته حول عنقه ، فتدركه المنية.

ونلاحظ أن المتلقي شارك في إنتاج تلك الصورة التي اعتمدت على الرسم ، فالمتلقي نشأ في قوم أميين ، فكانت الصورة المحسوسة أكثر مناسبة له من الصورة المجردة.

وفي النهاية عند النظر في " نص ذي بعد مضموني راق كالحديث الشريف لا ترد فيه الصور – على اختلاف طبيعتها بساطة وامتدادا – قاصرة على تحقيق تأثير جمالي وحسب ، بل ينضاف إلى إحداث هذا

التأثير ترق دلالي يتبلور في رحاب التلقي تأخذ هذه الصور في تجاوزها كونها تصويرا إلى تكوينها تصورا". (١،١)

ومن خلال النصوص السابقة تبين لنا مدى تحقق العنصر الجمالي من خلال التصوير النبوي ، وكذلك وضح لنا مقدرة الصورة النبوية في نقل المتلقي من عالم الواقع إلى عوالم متعددة من التصور والتخيل ، وهذه وسيلة من وسائل متعددة في التعبير النبوي التي تحمل المتلقي على التواصل الحميم والتجاوب مع النص.

٤- خصائص اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي

يمكن استخلاص عدة خصائص أو سمات للأنظمة غير اللفظية في الحديث النبوي ، **نعرضها على النحو الآتي** :

أ- الاستقلالية

نعني بهذه الخاصية غنى الأنظمة غير اللفظية بالتعبيرات ، وإمكانية الاستغناء بها في كثير من المواقف عن الأنظمة اللفظية. (١،٢)

ومن المواقف التي تتسم فيها الأنساق غير الكلامية بالاستقلال التام والاستغناء عن الأنساق الكلامية : مقام الصلاة - وقد أشرت إلى ذلك من قبل - والأحاديث الواردة في هذا الموقف كثيرة. ونختار حديثا واحدا ليكون شاهدا على هذه الفكرة.

عن جابر قال : " أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو منطلق إلى بني المصطلق ، وهو يصلي على بعيره ، فكلمته ، فقال بيده: هكذا ، وأومأ زهير **(أحد رواة الحديث)** بيده ، ثم كلمته فقال لي هكذا ، فأومأ زهير أيضا بيده نحو الأرض ، وأنا أسمعه يومئ برأسه ،

فلما فرغ قال : ما فعلت في الذي أرسلتك له ، فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنت أصلي ... " [١،٣]

في هذا الموقف تكون الإشارة أبلغ من العبارة ، حيث لا تصلح له إلا الأنظمة غير اللفظية ، فالنسق اللفظي يبطل الصلاة ، وإشارة النبي صلى الله عليه وسلم لجابر حملت مدلول فعل الأمر " اسكت " ، كما أسهمت في إنتاج بنية الإيجاز ، حيث إنها قامت مقام عبارة " اسكت يا جابر حتى أفرغ من الصلاة ". وتعبير الراوي فقال لي: بيده ، فقال لي : هكذا يدل دلالة واضحة على إمكانية تعبير الأنساق غير الكلامية عن المعنى المراد دون اللجوء إلى النسق الكلامي.

ومن المواقف التي يمكن أن يلجأ فيها المتكلم إلى الأنظمة غير اللغوية ، موقف المرض والضعف – وقد تمت الإشارة إلى ذلك من قبل – وهناك مجموعة من الأحاديث وردت في مرض الرسول صلى الله عليه وسلم . نختار من بينها حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : " إن من نعم الله عليّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه . عند موته دخل عليّ عبدالرحمن وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت ألينه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمَرَّه ، وبين يديه ركوة [١،٤] أو علبة – يشك عمر – فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء ، فيمسح بهما

وجهه يقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات ، ثم نصب يده، فجعل يقول اللهم في الرفيق الأعلى ، حتى قُبض ، ومالت يده". (١٠٥)

في هذا الموقف الذي يشارف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على الموت ، تتسم الأنساق غير اللفظية بالاستقلالية التامة عن الأنساق اللغوية ، فجاءت النظرة معبرة عن حب السواك ، والرغبة فيه ، وأفرزت الإشارة بالرأس مرتين دلالة الإثبات ، ودل ميل اليد على صعود الروح إلى بارئها ، ومفارقة الحياة.

ومن خلال تلك الأنظمة غير اللفظية تم رسم صورة لحالة من حالات الضعف الشديد أمام سطوة الموت ، وجاءت دالة دلالة واضحة على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو يمرض كما يمرض البشر ، ويموت كما يموتون.

وتستخدم الأنساق غير اللفظية في تعليم قوم لا يعرفون القراءة والكتابة ، كما في حديث ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا " وخنس سليمان إصبعه في الثالثة ، يعني تسعا وعشرين وثلاثين. (١٠٦)

في هذا الحديث أراد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرر أن الشهر الهجري يأتي مرة تسعا وعشرين ومرة ثلاثين ، فاستخدم الإشارة دون اللجوء إلى أي نسق لغوي ، وكان السبب الرئيس في إنتاج هذه البنية غير اللغوية حال المخاطب " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب".

ومن السمات الاستقلالية للأنظمة غير اللفظية استخدام العقد ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنه استيقظ محمرا وجهه ، وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد سفيان **(أحد رواة الحديث)** تسعين أو مائة " وفي رواية أخرى حلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. (١٠٧)

ويعلق ابن حجر على الحديث قائلا : " عقد التسعين أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ، ويضمهما ضما محكما بحيث ينطوي عقدتاهما ، وعقد المائة مثل عقد التسعين ، لكن بالخنصر اليسرى ، وعلى هذا فالتسعون والمائة متقاربان ". (١٠٨)

ونتبين استقلالية النسق غير اللغوي من قول ابن حجر أيضا : " وأما عقد الحساب ، فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن التلفظ ، وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع ، فيضع أحدهما يده في يد الآخر ، فيفهمان المراد من غير تلفظ لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن حضرهما ، فشبه صلى الله عليه وسلم قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم ... وعقد الثلاثين أن يضم طرف الإبهام إلى طرف السبابة ، مثل مَن يمسك شيئا لطيفا كالإبرة ، وكذلك البرغوث ، وعقد التسعين أن يجعل الإبهام بين عقدتي السبابة من باطنها ويلوي طرف السبابة عليها مثل ناقد الدينار". (١٠٩)

ومما سبق يتضح أهمية الأنظمة غير اللغوية في كثير من المواقف التي لا تصلح الأنظمة اللغوية لها ، ومن هنا تؤدى الإشارة ما لا تؤديه العبارة.

ب- الصـــدق

في هذا الصدد نرى " تفوق الوسائل غير اللفظية على نظيرتهـا اللفظية في كونها لا تقع تحت سيطرة المتصل أو تحكمه أو وعيه ؛ ولذا فهي عادة ما تكون خالية من الخداع والتشويه والتضليل". (١١٠)

ويمكن أن نتبين ذلك من حديث عطية عن أبي سعيد قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَن جرَّ إزاره من الخيلاء لم ينظـر الله إليه يوم القيامة ، قال : فلقيت عمر بالبلاط ، فذكرت له حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وأشار إلى أذنيه سـمعته أذناي ، ووعاه قلبي". (١١١)

وهنا إشارة عمر رضي الله عنه إلى أذنيه تدل دلالة واضحة على صدقه في سماع الحديث الذي رواه أبو سعيد ، ومن ثـم نـرى تلـك الإشارة أدت دورا مهما في إزالة أي شك أو تردد قد يقع فيه المخاطب.

وتُظهر الإشارة صدق صاحبها – أيضا – في حديث أنس قال : " كان لرسول صلى الله عليه وسلم جار فارسي طيـب المرقـة فـأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعنده عائشة فأومأ إليه بيده أن تعال ، وأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشـة أي وهـذه ، فأومأ إليه الآخر هكذا بيده أن لا مرتين أو ثلاثا". (١١٢)

هنا نرى إيماءة الفارسي معبرة عن رفض حضور السيدة عائشة طعامه ، وتبرز حالة من حالات الصدق ، فلا تستطيع تلك الإشارة أن تقع في منطقة الخداع أو التشويه أو التضليل بخلاف الأنظمة اللغويـة

التي تمتلك القدرة على خداع المتلقي أو تضليله ، وجاء تكرار تلك الإشارة مرتين أو ثلاثا مؤكدا مدى صدق الرجل ، ومشددا على موقف الرفض.

ج- قيام اللغة غير المنطوقة بدور مساعد للغة المنطوقة

مما لاشك فيه أن " الوسائل غير اللفظية تقوم – في كثير من الأحيان – بدور مساعد للوسائل اللفظية ، وهو دور لا يستغنى عنه في تحيق تواصل على مستوى عال ، فالمتكلم يضيف بوسائله غير اللفظية مفاتيح جديدة تخدم المعنى". (١١٣)

والأحاديث في هذا الأمر كثيرة ومتنوعة ، ونقف على حديثين فقط نتبين من خلالهما الدور المساعد الذي تقوم به الأنظمة غير اللفظية لإحداث نوع من التواصل بين المرسل والمستقبل.

الحديث الأول عن أنس بن مالك قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول اللهم ثبت قلبي على دينك ، فقال رجل : يا رسول الله تخاف علينا ، وقد أمنا بك ، وصدقناك بما جئت به ، فقال إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها وأشار الأعمش بإصبعه". (١١٤)

هنا لم تأت الإشارة – ولأنها نسق غير لفظي – مستقلة ، بل جاءت مصاحبة لنظيرها اللفظي ، فحاكي الراوي بإشارة إصبعه حركة تقلب القلوب بهدف توصيل المعنى إلى المتلقي، وبجانب تحقيق الإشارة الشفرة التوصيلية ، فقد حققت شفرة جمالية عن طريق تصوير حركة

القلوب في صورة حسية ملموسة تكون أشد نفاذا إلى فكر المتلقي ووعيه.

والحديث الثاني عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه". (١١٥)

في الحديث السابق نرى النسق غير الكلامي في حركة تشبيك الأصابع ، ووردت تلك الحركة مصاحبة عبارة " يشد بعضه بعضا" لإحداث أكبر قدر من التواصل بين المتكلم والمخاطب ، وكذلك أكدت الإشارة وجه الشبه في هذه الصورة التشبيهية بدلالتها على القوة والتماسك. وأضافت صورة تقريرية واقعية ، بجانب الصورة البيانية.

د- تفوق اللغة غير المنطوقة في المواقف العاطفية

يمكن لنا بسهولة ملاحظة تفوق " الوسائل غير اللفظية كذلك في المواقف العاطفية التي تعتمد علي التأثير والإيحاء ، ولما كانت طبيعة بعض المواقف الاتصالية عاطفية كان التعبير عنها بصورة غير مباشرة (عن طريق ابتسامة ، أو نظرة ، أو تكشيرة ، أو إيماء بالرأس ، أو تربيتة على الكتف) أفضل عن التعبير عنها بصورة مباشرة". (١١٦)

ونتبين دلالة الغضب من خلال اللغة غير المنطوقة من حديث سليمان بن صرد قال : " استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما تحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأعرف كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد . لو قال :

أعوذ بالله من الشيطان ذهب ما يجد . فقال له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعوذ بالله من الشيطان ؛ فقال : وهل بي جنون ؟". (١١٧)

ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر الغضب بقوله : " ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى احمرار عينيه ، وانتفاخ أوداجه ؛ فمن أحس من ذلك ؛ فليلصق بالأرض". (١١٨)

ومما لا شك فيه أن الوسيلة غير اللفظية الواردة في هذا الحديث تعبيرا عن الغضب تتفوق على أية وسيلة لفظية أخرى. فلو وصفنا هذا الرجل الغضبان بكل الأنظمة اللغوية على النحو التالي : هذا غضبان – أصابه غضب شديد – إن هذا لغضبان – والله هذا لغضبان ،؛ فلا يمكن أن تكون هذه الأنساق اللغوية أكثر دلالة على الغضب من النسق غير اللفظي المتمثل في احمرار العينين ، وانتفاخ الأوداج.

وقد مر بنا من قبل مجموعة من الإشارات والإيماءات استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء مرضه الذي سبق وفاته ، وهي – بلا ريب – أكثر تفوقا على الأنساق اللفظية في التعبير عن حالة الضعف والإعياء التي أصابت النبي صلى الله عليه وسلم.

ونختم هذا المبحث بتعبير النسق غير الكلامي عن حالة من حالات الحزن أصابت النبي صلى الله عليه وسلم. قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : " انكسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، وقام الذين معه قياما ، وأطال السجود ، ثم رفعه من رأسه ، وقام وصنع في الركعة الثانية مثل ما صنع في الركعة الأولى من القيام والركوع والسجود

والجلوس ؛ فجعل ينفخ في آخر سجوده من الركعة الثانية ويبكي ، ويقول : لم تعدني هذا وأنا فيهم ، لم تعدني هذا ونحن نستغفرك ، ثم رفع رأسه وانجلت الشمس ...". (١١٩)

ولعل فعليْ (النفخ والبكاء) – وهما نسقان غير لفظيين – يعبران عن حالة من الحزن الشديد أصابت النبي صلى الله عليه وسلم عندما انكسفت الشمس ، وهذا ما تعجز عنه الأنظمة اللغوية في تصوير تلك الحالة ، وإبراز الحزن – باعتبار أنه عنصر معنوي – في تلك الصورة الحسية التي تتراءى ماثلة أمام حدقة العين مع مرور زمن طويل على وقت رواية الحديث ، وتحوله من الصورة الشفاهية إلى الصورة الكتابية.

ومن كل ما سبق فقد اتضح أن اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي ، أسهمت بدورٍ بارزٍ في تحديد المعنى ، وارتبطت بسياق الحال، وأدت وظائف متنوعة ، وحملت مجموعة من الخصائص والسمات ، ومن ثم كانت لها أهميتها في الأداء النبوي ، وفي نص هو أبلغ النصوص البشرية على الإطلاق.

أهم نتـــائج البحث:

١- صلاحية اللغة غير المنطوقة في مواقف لا تصلح لها اللغة المنطوقة.

٢- اللغة غير المنطوقة تشارك اللغة المنطوقة في كثير من الأحيان في تحديد المعنى.

٣- سياق الحال ينتج النسق غير اللغوي مثل ما ينتج النسق اللغوي.

٤- اللغة غير المنطوقة تحمل الشفرتين : التوصيلية والجمالية.

٥- تفوق اللغة غير المنطوقة على اللغة المنطوقة في المواقف العاطفية.

٦- اللغة غير المنطوقة أكثر صدقا من اللغة المنطوقة لبعدها عن الخداع.

٧- الحديث النبوي أكثر وفاء في حمل وظائف اللغة غير المنطوقة.

الهـــوامش:

١- الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ١ /٧٩ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

٢- د/كريم زكي حسام الدين : اللغة والثقافة " دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية" ، ٤١ ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١.

٣- راجع : ول ديوارنت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، ١ / ١٢٤ ، ط٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٨.

٤- مورجان : نقلا عن د. كريم زكي حسام الدين : الإشارات الجسمية " دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل" ، ١١٩ ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

٥- راجع : حنون مبارك : دروس في السميائيات ، ٣٥، ط١ ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ١٩٨٧ .

٦- عصام الدين أبو العلا : مدخل إلى علم العلامات في اللغة والمسرح ، ٥١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥.

٧- د/ محمود سليمان ياقوت : القصة القصيرة وعلم الحركة الجسمية "دراسة تطبيقية" ، ٢١٥ ، مجلة كلية آداب طنطا ، ع٢ ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

٨- راجع : حنون مبارك : دروس في السميائيات : ٧٥

٩- فندريس : اللغة ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، ٣٥ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٥٠ .

١٠- عصام الدين أبو العلا : مدخل إلى علم العلامات : ١٥٢

١١- د٠ كريم زكي حسام الدين : الإشارات الجسمية : ٨

١٢- د٠ عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، ٨ ، ط٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ٠

١٣- د٠ أحمد مختار عمر: علم الدلالة ،١١ ، ط٥ ، عالم الكتب ، القاهرة ،١٩٩٨.

١٤- السابق : ١١ ،١٢

١٥- مسلم : صحيح مسلم ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الحيض ، ١/٢٦٠، دار إحياء التراث ، بيروت ، د٠ت٠

١٦- البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق : د٠ مصطفى ديب البغا ، كتاب الطلاق ، ٥ / ٢٠٣، ط٣ ، دار ابن كثير، بيروت ، ١٤٠٧- ١٩٨٧ ٠

١٧- الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون ، كتاب الفتن ، ٤ / ٤٩٦ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د٠ت٠

١٨- أبو داود : سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، كتاب الأدب ، ٤ /٣٣٨ ، دار الفكر ، بيروت ، د٠ت٠

١٩- سورة القمر: ١

٢٠- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الاستسقاء ، ٢ / ٦١٢

٢١- الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، ٥ / ٥٩٣

٢٢- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب المساجد ١ / ٣٨١

٢٣- د/ فريد عوض حيدر: فصول في علـم الدلالـة ، ١١٩ ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥ .

٢٤- د/ تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ٣٣٧ ، ط٤ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ .

٢٥- د/فريد عوض حيدر: فصول في علم الدلالة : ١٤٨

٢٦- د/عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير: ١٣٠

٢٧- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، ١٠٨

٢٨- راجع : الواحدي : أسباب النزول ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ ، و الطبري : جامع البيـان فـي تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ٢٣ / ٤٧٥ - ٤٨٠ ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠- ٢٠٠٠ .

٢٩- سورة التحريم : ٥

٣٠- الأوضاح : بقايا الحليّ ، اللسان : وضح .

٣١- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الديات ، ٦ / ٢٥٢٢، مسلم : صحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين ، ٣ / ١٢٩٩

٣٢- د/بشرى موسى صالح : نظرية التلقي " أصول وتطبيقات " ، ٤٠ ،٤١ ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١ .

٣٣- راجع د/عزة شبل محمد : علم لغة النص "النظرية والتطبيق" ، ١٠ ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٨- ٢٠٠٧ .

٣٤- أحمد محمود زكريا توفيق : الحركة الجسمية في ديوان الأعشى "دراسة دلالية" ، ٩١ ، رسالة ماجستير بآداب المنصورة ، ١٤٢٨- ٢٠٠٧ .

٣٥- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الجماعة والإمامة ، ١ / ٢٤٢ ،مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، ا/٣١٦

٣٦- د/أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات ، ٧٩- ٨١ ، ضمن كتاب " تمام حسان رائدا لغويا " ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٣- ٢٠٠٢ .

٣٧- السابق : ٧٩

٣٨- النسائي : السنن الكبرى ، تحقيق : عبدالغفار سليمان البنداري ،وسيد كسراوي حسن ، كتاب التطبيق ، ١ / ٤٠٢ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ ، ١٩٩١ .

٣٩- أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، ١ / ٨٠

٤٠- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الحج ، ١ / ٥٨٣ ، النسائي : السنن الكبرى ، كتاب الحج ، ١ / ٢٠٤ ، الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب الحج ، ٣ / ٢٦٨

٤١- د/أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات : ٨٠

٤٢- الوسْق : مكيلة معلومة ، وهو حمل بعير، وهو ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومقداره خمسة أرطال وثلث ٠ اللسان : وسق

٤٣- ذوْد : للقطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع٠ اللسان : ذود

٤٤- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، ٢/ ٦٧٣

٤٥- ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : تحقيق : السيد أحمد صقر ، ٢٤٠ ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣- ١٩٧٣ ٠

٤٦- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، ٣ / ١٢٠٨

٤٧- السابق : كتاب صفة القيامة والجنة : ٤ / ٢١٧٠

٤٨- د/أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات : ٨٠

٤٩- سورة الكهف : ٧٤ - ٧٧

٥٠- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب التفسير : ٤ / ١٧٥٢

٥١- الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب العلم عن رسول الله ،٥ / ٣٩

٥٢- د/ أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات : ٨٠

٥٣- النسائي : السنن الكبرى ، كتاب الحج ،٢ / ٤٢٥

٥٤- أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الحج ، ٢ / ١٩٧

٥٥- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، ٢ / ٧٦١

٥٦- راجع : ابن كثير : السيرة النبوية ، ٢ / ٥١٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٦ - ١٩٧١

٥٧- النسائي : السنن الكبرى ، ١ / ٢٤٩

٥٨- تمعك : تقلب في التراب ٠ اللسان : معك

٥٩- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، ١ / ١٢٩،مسلم : صحيح مسلم ، كتاب التيمم ، ا/ ٢٨٠ أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب التيمم ، ١ / ٨٨ ، النسائي : السنن الكبرى ، كتاب التيمم، ١ / ١٣٤

٦٠- راجع : د/عبد الرحيم الكردي : السرد في الرواية المعاصرة " الرجل الذي فقد ظله نموذجا " ، ٩٠ ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ٠

٦١- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الجماعة والإمامة : ١ / ٢٤١

٦٢- عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح بتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، ٢ /٤٦ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠- ٢٠٠٠ ٠

٦٣- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، ٣ / ١٦٢٢

٦٤- د/ محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ٢٩٣ ، ط١ ، لونجمان ، ١٩٩٧ ٠

٦٥- لددنا : لددت الرجل ألدُّه لدًّا : إذا سقيته ، واللدود ما يصب بالمسعط من السقْي والدواء في أحد شقي الفم ، فيمر على اللديد ٠ ولديدا الفم جانباه ، وفي الحديث : أنه صلى الله عليه وسلم لُدَّ في

مرضه ، فلما أفاق قال : لا يبقى أحد منكم إلا لُدّ فعل ذلك عقوبة لهم لأنهم لدوه بغير إذنه اللسان : لدد.

٦٦- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب السلام ، ٤ / ١٧٣٣

٦٧- بهاء الدين السبكي : عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ، ٢ / ٣٢٤ ، عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٦٨- د/محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ٢٩٧

٦٩- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير : ٣ / ١٣٨٩

٧٠- راجع : د/محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ٢١٧

٧١- السابق : ٢١٩

٧٢- ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الأضاحي ، ٢ : ١٠٤٦، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

٧٣- راجع : عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح ، ٣ / ١٦٢

٧٤- ابن رشيق : العمدة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١ / ١٣٨ ، ط٣ ، المكتبة التجارية ، القاهرة .

٧٥- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة، ١ / ٢٦١،مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، ٤ / ١٨٣٢، النسائي : السنن الكبرى ، كتاب التفسير ، ٦ / ٣٣٨

٧٦- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة، ١ / ٢٨٠،مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، ١ / ٣٥٤، النسائي : السنن الكبرى ، كتاب الصلاة ، ١ / ٢٣١

٧٧- ابن الأثير : المثل الثائر ، تحقيق : د٠ أحمد الحوفي ، د٠ بدوي طبانة ، ٢ / ١٧٠ ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠

٧٨- راجع : د/ محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى،٣٩٢.

٧٩- فندريس : اللغة ، ١٨٨

٨٠- عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح ، ١ / ١١٨

٨١- د٠ طارق سعد شلبي : دراسات في لغة النص ، ١٨٩ ، زهراء المدائن للتوزيع والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ٠

٨٢- د/ محمد لطفي الصباغ : التصوير الفني في الحديث النبوي ، ٥٢٥ ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٩- ١٩٨٨ ٠

٨٣- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، ٥ / ٢٠٣٢

٨٤- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، ٤ / ٢٠٢٧

٨٥- يوسف مسلم أبو العدوس : النظرية الاستبدالية للاستعارة ، ٥٥ ، حوليات كلية الآداب جامعة اليرموك ، حولية١١ ، ١٤١٠ - ١٩٨٩.

٨٦- بيير جيرو : علم الدلالة ، ترجمة : منذر عياشـــي ، ٢٨ ، ط٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٨ .

٨٧- الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب الأمثال عن رسول الله ، ٥ / ١٥٢

٨٨- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ١ / ٥٥٦

٨٩- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ١ / ٤٩

٩٠- عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح ، ١ / ١٥

٩١- راجع : د/ محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ١٨٧

٩٢ – د/ محمد عبد المطلب : قراءة لغوية في مسرحية البحر لأنس داود ، ١٣٧ ، مجلة فصول ، مج١ ، ع٣ ، ٤ ، القاهرة ، يناير ١٩٩٢ .

٩٣- د/ محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ١٨٨

٩٤- بدر أحمد ضيف : الصورة الفنية في شعر المعتمد بن عباد ، ٦٢ ، مكتبة التركي ، طنطا ، ١٩٩٧ .

٩٥- د/ روز غريب: تمهيد في النقد الأدبي ، ٣٨ ، دار المكشوف ، بيروت ، د. ت.

٩٦- الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب الاستئذان ، ٥ / ٥٨

٩٧- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها : ٤ / ٢١٩٦

٩٨- الأنعام : ١٥٣

٩٩- الحاكم : المستدرك ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطـــا ، ٢ / ٢٦١ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ ، ١٩٩١ .

١٠٠- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، ٥ / ٢٣٥٩

١٠١- د/طارق سعد شلبي : دراسات في لغة النص ،١٨٥

١٠٢- د/احمد مختار عمر : لغة بغير كلمات ، ٨٣

١٠٣- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، ١ / ٣٨٣

١٠٤-ركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ٠ اللسان : ركا

١٠٥- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ٤ / ١٦١٦

١٠٦- السابق : كتاب الصوم ، ٢ / ٦٧٥ ، مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، ٢ / ٧١١

١٠٧- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، ٣ / ١٢٢١

١٠٨- ابن حجر: فتح الباري ، ١٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠

١٠٩- السابق : ١٦ / ٢٢٤

١١٠- د/ أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات ، ٨٣

١١١- ابن أبي شيبة : مصنفه ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ٥ / ١٦٥، ط١ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩ ٠

١١٢- أحمد بن حنبل : مسند أحمد : ٣ / ٢٧٢ ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د٠ت ٠

١١٣- د٠ أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات ، ٨٤

١١٤- ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء ، ١ / ١٨٢

١١٥- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ،١ / ١٨٨، مسلم : صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، ٤ / ١٩٩٩

١١٦- د/أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات ، ٨٤

١١٧- مسلم : صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، ٤ / ٢٠١٥ ، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الآداب ، ٤ / ٢٤٩

١١٨- الترمذي : سنن الترمذي ، كتاب الغضب ، ٤ / ٤٨٣

١١٩- النسائي : السنن الكبرى ، ١ / ٥٧٤

المـــراجع :

١- أحمد بن حنبل : مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د٠ت

٢- النسائي : السنن الكبرى ، تحقيق : عبدالغفار سليمان البنداري ،وسـيد كسراوي حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ ، ١٩٩١.

٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح البـاري علـى صـحيح البخاري ، الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٩.

٤- أحمد محمود زكريا توفيق : الحركة الجسمية في ديوان الأعشى "دراسة دلالية" ، رسالة ماجستير بآداب المنصورة ، ١٤٢٨- ٢٠٠٧.

٥ – د/ أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، ط٥ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨.

٦- د٠ أحمد مختار عمر : لغة بغير كلمات ، ضمن كتاب " تمام حسان رائدا لغويا " ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٣- ٢٠٠٢ ٠

٧- د/ بدر أحمد ضيف : الصورة الفنية في شعر المعتمد بن عبـاد ، مكتبة التركي ، طنطا ، ١٩٩٧.

٨- د٠ بشرى موسى صالح : نظرية التلقي " أصول وتطبيقات " ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ٢٠٠١ ٠

٩- أبو بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة : مصنف ابـن أبـي شـيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط١ ، مكتبة الرشـد ، الريـاض ، ١٤٠٩.

١٠- بهاء الدين السبكي : عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ،عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧.

١١- بيير جيرو : علم الدلالة ، ترجمة : منذر عياشي ، ط٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٨ .

١٢- د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ٣٣٧ ، ط٤، عالم الكتب ، القاهرة، ١٤٢٥-٢٠٠٤.

١٣- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله الكبير ، محمد حسب الله ، هاشم الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.

١٤- أبو الحسن على بن أحمد الواحدي : أسباب النزول ،مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨-١٩٦٨.

١٥- حنون مبارك : دروس في السميائيات ، ط١ ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ١٩٨٧.

١٦- د. روز غريب: تمهيد في النقد الأدبي ، دار المكشوف ، بيروت ، د. ت.

١٧- سليمان بن الأشعث أبو داود : سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

١٨- ضياء الدين أبو الفتح نصربن محمد بن الأثير: المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠

١٩- د. طارق سعد شلبي : دراسات في لغة النص ، زهراء المدائن للتوزيع والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠.

٢٠- د/ عبد الرحيم الكردي : السرد في الرواية المعاصرة " الرجل الذي فقد ظله نموذجا " ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦.

٢١- د/ عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، ط٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨.

٢٢- عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح بتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠- ٢٠٠٠ .

٢٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣.

٢٤- د/ عزة شبل محمد : علم لغة النص "النظرية والتطبيق" ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٨- ٢٠٠٧ .

٢٥- عصام الدين أبو العلا : مدخل إلى علم العلامات في اللغة والمسرح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .

٢٦- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في نقد الشعر ونثره، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، المكتبة التجارية ، القاهرة.

٢٧- أبو الفداء إسماعيل بن كثير: السيرة النبوية ،دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٦ - ١٩٧١.

٢٨- د٠ فريد عوض حيدر: فصول في علم الدلالة ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥.

٢٩- فندريس : اللغة ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٥٠ ٠

٣٠- د/ كريم زكي حسام الدين : الإشارات الجسمية " دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل" ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١.

٣١- د/ كريم زكي حسام الدين : اللغة والثقافة " دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية" ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١.

٣٢- محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق : د٠ مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، دار ابن كثير، بيروت ، ١٤٠٧-١٩٨٧.

٣٣- محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠-٢٠٠٠.

٣٤- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرك ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ ، ١٩٩١.

٣٥- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : تحقيق : السيد أحمد صقر ، ٢٤٠ ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣- ١٩٧٣.

٣٦- د/ محمد عبدالمطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط١ ، لونجمان ، ١٩٩٧ .

٣٧- د/ محمد عبد المطلب : قراءة لغوية في مسرحية البحر لأنس داود ، مجلة فصول ، مج١ ، ع٣ ، ٤ ، القاهرة ، يناير ١٩٩٢ .

٣٨ - محمد بن عيسى الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت.

٣٩- د/ محمد لطفي الصباغ : التصوير الفني في الحديث النبوي ، ط١، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٩- ١٩٨٨ .

٤٠- محمد بن يزيد القزويني بن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الأضاحي ، ٢ / ١٠٤٦، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

٤١- د. محمود سليمان ياقوت : القصة القصيرة وعلم الحركة الجسمية "دراسة تطبيقية" ، مجلة كلية آداب طنطا ، ع٢ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٤٢- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت.

٤٣- ول ديوارنت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، ط٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٤٤- يوسف مسلم أبو العدوس : النظرية الاستبدالية للاستعارة ، حوليات كلية الآداب جامعة اليرموك ، حولية١١ ، ١٤١٠ - ١٩٨٩.